حكايات تراثية

٢

رضيت بقطع ذيل حصاني

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

فِي مَنْزِلِ جَدِّيْ (أَبُو العِزِّ)

في لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الشِّتَاءِ الطَّوِيْلَةِ قَالَ (هِشَامٌ) لأَصْدِقَائِهِ: مَاْ رَأْيُكُمْ أَنْ أَحْكِيَ لَكُمْ حِكَايَةً مُفِيْدَةً ، كُنْتُ قَدْ سَمِعْتُهَا مِنْ جَدِّيْ (أبِي العزِّ)؟

فَقَالَ صَدِيْقُهُ (هَارُوْنُ): وَمَتَىٰ كَانَ ذٰلِكَ؟ وَأَيْنَ؟

أَجَابَ (هِشَامٌ): عِنْدَمَا كُنْتُ فِي الصَّفِّ السَّادِسِ الابْتِدَائِيِّ مَرِض جَدِّيْ مَرَضاً شَدِيْداً ، وَبَعْدَ أَسَابِيْعَ عِدَّةٍ تَمَاثَلَ لِلشِّفَاءِ ، فَقَرَّر وَالِدِيْ ، وَأَعْمَامِي ، وعَمَّاتِيْ أَنْ يَقُوْمُوا بِدَعْوَةِ أَوْلَادِ ، وَأَحْفَادِ الجَدِّ الكَبِيْرِ كُلِّهِمْ ، وَيَكُوْنَ ذٰلِكَ عَلَىٰ مَائِدَةِ طَعَامِ الإفْطَارِ فِي رَمَضَانَ المُبَارَكِ. وَقَدْ كَانَتِ الجَلْسَةُ رَائِعَةً ، وَمُفِيْدَةً ، فَقَدْ رَأَيْنَا أَوْلَادَ عَمّاتِيْ وَأَعْمَامِي ، وَتَنَاوَلْنَا طَعَامَاً لَذِيْذاً عَلَىٰ نِيَّة شِفَاءِ جَدِّي ، وَاسْتَمَعْنَا إِلَىٰ هَذِهِ الحِكَايَةِ المُفِيْدَةِ:

وَانْقَطَعَ ذَيْلُ الحِصَانِ!!

كَـان يَا مَا كَـان ، كَـانَ في قَدِيْـمِ الزَّمَانِ رَجُلٌ فَقِيْرٌ يَعْمَلُ حَطَّاباً.

وَفِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الشِّتَاءِ القَارِسِ انْطَلَقَ نَحْوَ الغَابَةِ لِيَحْتَطِبَ ، وَكَانَ يَضَعُ عَلَىٰ كَتِفِهِ فَأْسَاً صَغِيْراً.

وَبَعْدَ أَنْ أكْمَلَ مُهِمَّتَهُ ، وَتَعِبَ تَعَبَاً شَدِيْـداً؛ عَادَ إِلىٰ قَرِيَتِـهِ ، وَبَـدَلَ أَنْ يَذْهَبَ إِلىٰ بَيْتِهِ ، انْطَلَقَ إلىٰ بَيْتِ أَخِيْهِ الغَنِيِّ.

وَهُنَاكَ قَالَ الفَقِيْرُ لِلْغَنِيِّ: أَرْجُوْكَ يَا أَخِي أَنْ تُعِيْرَنِي حِصَانَكَ لأَنْقُلَ عَلَيْهِ الحَطَبَ!

فَقَالَ الغَنِيُّ: وَلٰكِنْ بَعْدَ أَنْ تَنْتَهِيَ مِنْ عَمَلِكَ عَلىٰ الحِصَانِ لَنْ أُعِيْرَكَ شَيْئاً أَبَداً! فَلا تَأْتِ إِلَيَّ ، فَلَنْ أُعِيْرَكَ شَيْئاً بَعْدَ اليَوْمِ!

وَبَعْدَ أَنْ أَخَذَ الفَقِيْرُ الحِصَانَ ، وَوَصَلَ إِلىٰ الغَابَةِ ، تَذَكَّر: أَنَّهُ نَسِيَ أَنْ يَطْلُبَ مِنْ أَخِيْهِ العَرَبَةَ كَيْ يَضَعَ عَلَيْهَا الحَطَبَ.

فَقَالَ في نَفْسِهِ: إِنْ ذَهَبْتُ الآنَ ، وَطَلَبْتُ العَرَبَةَ مِنْ أَخي؛ فَسَوْفَ يُغْلِقُ البَابَ بِوَجْهِي ، ويَقُوْلُ لِيْ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لا تَعُدْ إليَّ بِطَلَبِ شيءٍ؟! وَبَعْد تَفْكِيرٍ طَوِيْلٍ قَرَّر ألا يَعُوْدَ إِلىٰ أخِيْهِ ، وَرَأَى: أَنَّ الأَفْضَلَ مِنْ ذٰلِكَ أَنْ يَرْبِطَ الحَطَبَ بِذَيْلِ الحِصَانِ!

فَأَخَذَ يحْزِمُ الحَطَبَ ، ثُمَّ ربطَ الحُزْمَةَ بِذَيْلِ الحِصَانِ ، وسَارَ في طَرِيْقِهِ إِلىٰ البَيْتِ ، وَفي الطَّرِيْقِ هَطَلَتِ الثُّلُوْجُ ، ونَزَلَتِ الأَمْطَارُ ، فَأَرَادَ أَنْ يُسْرِعَ ، فَضَرَبَ الحِصَانَ بِالعَصَا ،

فَرَكَضَ الحِصَانُ ، وانْقَطَعَ ذَيْلُهُ!!

ومَاتَ وَالِدُ التَّاجِرِ!!

وَذَهَبَ الفَقِيْرُ إلىٰ بَيْتِ الغَنِيِّ ، وَقَالَ لَهُ: أَنْت السَّبَبُ في قَطْعِ ذَيْلِ الحِصَانِ! فَلَوْ كُنْتَ تُشْفِقُ عَلَيَّ؛ لَتَجَرَّأْتُ ، وطَلَبْتُ العَرَبَةَ مِنْكَ بَعْدَ أَنْ نَسِيْتُها ، وَلَوْ لَمْ أَرْبِطِ الحَطَبَ بِذَيْلِ الحِصَانِ؛ لَمَا انْقَطَع!!

وَغَضِبَ الغَنِيُّ مِنْ أَخِيْهِ ، وَقَالَ: بَلْ أَنْتَ السَّبَبُ! فَلَقَدْ شَوَّهْتَ حِصَانِيْ ،

وَلَـنْ أَغْفِـرَ لَـكَ أَبَـداً ، وَسَـأَشْكُـوكَ لِلْقَاضِي!

وَبَعْـدَ مُـدَّةٍ مِنَ الزَّمَـنِ استُدْعِيَ الفَقِيْرُ إلىٰ المُحَاكَمَةِ لِيُحَاكَمَ عَلَىٰ مَا فَعَلَ.

وَفـي طَـرِيْقِـهِ إِلـىٰ المَحْكَمَـةِ رَاح يُفَكِّرُ ، وَيَحْسِبُ ، فَقَدْ كَانَ يَعْرِفُ: أَنَّ عِقَاباً مَا سَينزلُ بِهِ. وَازْدَادَ تَفْكِيْرُهُ في المَسْأَلَةِ ، وشَرَدَ ذِهْنُهُ ، فَسَقَطَ مِنْ عَلَىٰ جِسْرٍ ، وَتَشَاءُ الإِرَادَةُ الإِلٰهِيَّةُ أَنْ يَكُوْنَ تَحْتَ الجِسْرِ رَجُلٌ يَنْقُلُ أَبَاهُ العَاجِزَ إِلىٰ المُسْتَشفىٰ ، وَكَانَ سُقُوْطُ

الفَقِير فَوْقَ وَالِدِ التَّاجِرِ ، مِمَّا تَسَبَّبَ في وَفَاتِهِ مُبَاشَرَةً!

وَفي قَاعَةِ المُحَاكَمَةِ!

فَأَمْسَكَ التَّاجِرِ بِيَدِ الفَقِيْرِ ، وَأَخَذَهُ إِلىٰ المَحْكَمَةِ ، وَرَاحَ الفَقِيْر يُفَكِّرُ أَكْثَرَ بِالعُقُوْبَةِ ، فَقَدْ ارْتَكَبَ الجَرِيْمَةَ الثَّانِيَةَ.

ودَارَ في نَفْسِهِ أَنْ يَلْتَقِطَ حَجَراً كَبِيْراً ، ويَلُفَّهُ في خِرْقَةٍ ، وَيَضَعَهُ في عُبِّه. وهَمَسَ في نَفْسِهِ: سَأَقْذِفُ

القاضِي بِهَذَا الحَجَرِ إِنْ جَعَل الحُكْمَ عَلَيَّ لا لِيْ!

وَحَضَـر الأَخُ الغَنِـيُّ إِلـىٰ جِـوَارِ التَّاجِرِ ، وَرَاَحا يَنْتظِرَانِ حُكْمَ القَاضِيْ.

وَدَخَلَ القَاضي المَحْكَمَة ، ورَاحَ يَسْأل: مَنْ شَقِيْـقُ الرَّجُلِ الفَقِيْر؟ فَتَقَـدَّم الأَخُ الغَنِـيُّ وَقَـالَ: يَـا سَيِّـدي القَاضِيْ! إِنَّ أَخِي الفَقِيرَ طَلَبَ مِنِّي حِصَانِيَ لِيَجْلِبَ الحَطَبَ مِنَ الغَابَةِ ، وَفي طَرِيْقِ عَوْدَتِهِ قَطَعَ ذَيْلَ حِصَانِيْ ، وَأَنَا أُطَالِبُ المَحْكَمَةَ أَنْ تَأْخُذَ لِيْ حَقِّيَ مِنْهُ.

وَفِي أَثْنَاءِ ذلِكَ كَأَنَ الفَقِيْرُ يُشِيْرُ إِلىٰ عُبِّه ، وَيقُوْل لِلْقَاضِي: ستَرَى ، سَتَرَى! فظَنَّ القَاضِيْ أَنَّ هَذَا الَّذِيْ في عُبِّهِ كَوْمَةٌ مِنَ الذَّهَبِ سيُعْطِيْهَا لَهُ بَعْدَ الحُكْمِ لِصَالِحِه!!

ثُمَّ اسْتَدْعَىٰ القَاضِي التَّاجِرَ ، وَقَالَ لَهُ: قُصَّ عَلَيَّ مَا حَدَثَ مَعَكَ؟ فَقَالَ: يَا سَيِّدِي القَاضي! بَيْنَمَا أَنَا ذَاهِبٌ إِلىٰ المَشْفَىٰ وَمَعِي أَبي المَرِيْضُ سَقَطَ هٰذَا الفَقِيْرُ مِنَ الجِسْرِ فَوَقَعَ فَوْقَ أَبي ، فَمَاتَ. وَأَنَا أُرِيْدَ مِنْهُ مَالاً بِسَبَبِ ذٰلِكَ!

وَبَقِيَ الفقِيْرُ يُشِيْرُ إِلىٰ عُبِّهِ ،

وَالقَاضِي يَهُزُّ رَأْسَهُ: أنَّه مُوافِقٌ!

وكَانَ النُّطْقُ بِالْحُكْمِ!!

وَبَعْدَ أَنْ سَمِعَ القَاضِي كَلامَ الغَنِيِّ وكَلامَ التَّاجِرِ؛ قَالَ لِلْغَنِيِّ: إنَّ حِصَانَكَ يَجِبُ أَنْ يَمْكُثَ في بَيْتِ الفَقِيْر حَتَّى يَطُوْلَ ذَنَبُهُ ، فَيُعِيْدَهُ إِلَيْكَ.

فَعَجِبَ الغَنِيُّ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ: وَلكنِّي لا أَسْتَطيْعُ الاسْتِغْنَاءَ عَنْهُ!

فَقَالَ القَاضِيْ: فَإنْ كُنْتَ لا تَسْتَطِيعُ الاسْتِغْنَاءَ عَنْهُ فَأعْطِ الفَقِيْرَ أَلْفَ لَيْرَةٍ مُقَابِلَ إعْطَائِكَ الحِصَانَ!

فَأَخْرَجَ الغَنِيُّ مِنْ مِحْفَظَةِ النُّقُودِ أَلْفَ لَيْرَةٍ ، وَدَفَعَهَا؛ وَهُوَ حَزِيْنٌ!

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلى التَّاجِرِ ، وَقَالَ لَهُ: أَمَّا أَنْتَ فَيَجِبُ أَنْ تَصْعَدَ إِلىٰ الجِسْرِ وَتُلْقِي نَفْسَكَ فَوْقَ الفَقِيْرِ حَتَّى يَمُوْت...!

فَتَغَيَّرتْ أَلْوَانُ وَجْهِ التَّاجِرِ ، وَفَكَّر بِالهُرُوْبِ مِنْ قَاعَةِ المَحْكَمَةِ ، لَوْلا خَوْفُهُ مِنَ الحِرَاسَةِ وَمَا إِلىٰ هُنَالِكَ!

ثُمَّ قَالَ لِلْقَاضِي: لا ، أَنَا لاَ أُرِيْدُ ذٰلِكَ ، بَلْ إِنِّي سَأُسَامِحُ هَذَا الفَقِير المِسْكِيْنَ ، وَسَأَتَنَازَلُ عَنْ مُطَالَبَتِي

إيَّاهُ بِمَالٍ مُقَابِلَ مَوْتِ أَبي.

فَقَالَ القَاضِي: أَبَداً ، فَإِنْ كُنْتَ لا تُرِيْدُ أَنْ تُلْقِي بَنَفْسِكَ عَلىٰ الفَقِيْرِ؛ فَادْفَعْ لَهُ أَلْفَ لَيْرَةٍ الآن!

فمَدَّ التَّاجِر يَدَهُ إِلىٰ جَيْبِهِ ، وَأَخْرَجَ أَلْفَ لَيْرَةٍ ، وَدَفَعَهَا إِلىٰ الفَقِيْرِ..!

ثُمَّ انْصَرَفَ التَّاجِر ، والغَنِيُّ.

فَالْتَفَتَ القَاضِي إِلىٰ الفَقِيْر ، وَقَالَ لَهُ: هَاتِ مَا في عُبِّكَ ، فَقَدْ شَوَّقْتَنِي إِلىٰ الذَّهَبِ الَّذِيْ كُنْتَ تُشِيْرُ بِهِ إِليَّ ، فَمَدَّ الفَقِيْرُ يَدَهُ إِلىٰ عُبِّهِ ، وَأَخْرَجَ الحَجَرَ

الكَبِيْـرَ ، وَقَـالَ القَـاضِـي: خُـذْ هُـذَا الحَجَرَ ، فَو اللهِ كُنْتُ سَأَضْرِبُكَ بِهِ إِنْ لَمْ تَحْكُمْ لِيْ!!!

* * *